

جامعة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم العقيدة والفكر الإسلامي

محاضرات مادة التصوف والأخلاق

المرحلة الأولى

المحاضرة الأولى

تعريف التصوف

إعداد

د. عبدالله نجم عبدالله

تعريف التصوف لغة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام المتقين وقادة السالكين وعلى آله وصحبه اجمعين وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين .
اما بعد فهذه محاضرات في التصوف من حيث تعريفاته وأقسامه والمراحل التي مر بها .

١- تعريف التصوف

أ. التعريف اللغوي : يقال : تصوف اذا تعبد أو تنسك ، فالتصوف على هذا التعريف هو العبادة والتنسك . ويقال أن (ال صفوان كاوا يخدمون الكعبة وينسكون ولعل الصوفية نسبة اليهم أو تشبيها بهم في التعبد والتنسك)^(١) .
وقيل نسبة الى اهل الصفة . فيقال مكان الصفية . الصوفية بقلب احد الفائين واوا للتخفيف .

والتصوف ككشاف : من يعمله (وصوفه البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيواني)^(٢) .

ومن الابديات : قولهم (لاتيک ما بل البحر صوفه)^(٣) .

والتصوفان : شيء يخرج من قلب رخو يابس ، تقدح فيه النار وهو من احسن ما يكون للمقترحين .

وصوفة الرقبة : زغبات فيها ، وقيل هي ما سال في نقرتها .

وصوف الكرم : أي بدت نوااميه .

ويقال جبة صيفه ، ككسيه أي كثيرة الصوف ، اصله صيوفه فقلبت الواو ياء فأدغمت .

(١) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي (٢٤ / ٤٢) .

(٢) ينظر : المصدر السابق (٤٢ / ٢٤) .

(٣) ينظر : المصدر السابق (٤٢ / ٢٤) .

ويقال (صاف الكبش صوفا ، و صووفا فهو صاف واصوف وصائف واصوف كفرح فهو صوف ككتف صوفاني بالضم وهي بها اذا اكثر صوفه . والصوفانة بالضم بقله زغباء قصيرة . وصاف السهم الهدف بصوف ويصيف عدل وعنا وجهه مال ، واصاف الله عني شره أماله) (٤) .

(وصوفه أبو حي من مضر وهو الغوث بن مر بن طابخة كانوا يخدمون الكعبة

ويجيزون الحاج في الجاهلية أي يفيضون بهم من عرفات وكان احدهم يقول أجزبي صوفة فاذا اجازت قال : أجزبي خندق فان اجازت أذن الناس بحلهم في الاجازة . و يقال انهم قوم من أبناء القبائل تجمعوا فتشبعوا كتشبعك الصوف) (٥) .

وهكذا نرى ان هذه التعاريف اللغوية قد تصرف الكلمة الى معاني بعيدة عن مرادها أو المعنى الذي اطلقت من اجله ، و على كل حال المتفق منها كله مجتمعا يعني ان التصوف التنسك والتعبد أو معاني قريبة من ذلك فقصدتهم فيه من قولهم صاف السهم وأصاف الله عني شره أي ما لوا عن الدنيا وزهرتها وزخرفها وانطلقوا الى الله تعالى ، ولبسوا الصوف الذي هو شعار العباد والزهاد من قديم الزمان سواء في ديننا أو في الأديان السابقة وهذا ما سنراه أيضا بصورة أوضح في التعريف الاصطلاحي .

تعريف التصوف اصطلاحا :

للتصوف عدة تعاريف تبلغ المئات ويرجع سبب هذا التعدد والتنوع الى طبيعة التعبير عنه وانها من الأحوال فقد يعبر عنها بوصف من اوصافها أو حال من تلك الأحوال أو ثمرة له أو اصل من اصوله ومبانيه (٦) وقد ذكرت فيما يأتي بعض هذه التعاريف لتعطينا مجتمعة صورة كاملة عن التصوف الذي اصبح علما الذي اصبح علما له له قواعده واصوله ومنهجه المتميز فمن هذه التعاريف :

(٤) ينظر : القاموس المحيط للفيروز ابادي : ١٦٤ / ٣ ، دار العلوم للجميع بيروت - لبنان .

(٥) ينظر : المصدر نفسه ١٦٤ / ٣ .

(٦) ينظر : شفاء السائل في تهذيب الرسائل لابن خلدون : ٤٤ ، تحقيق اغناطيوس عبدة خليفة اليسوعي المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٩ م ونشأة التصوف الإسلامي لإبراهيم

بسيوني : ١٧ وما بعدها .

١. تعريف القصاب (٧) رحمه الله تعالى بقوله : (اخلاق كريمة ظهرت في زمن كريم من رجل كريم) (٨) .

٢. تعريف الامام الجنيد (٩) رحمه الله تعالى بقوله : (هو البقاء مع الله تعالى على ما يريد لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء) (١٠) .

٣. تعريف الشيخ سمنون رحمه الله تعالى (١١) بقوله : (هو أن تكون مع الله بلا علاقة) (١٢) .

٤. تعريف الشيخ رويم (١٣) رحمه الله تعالى بقوله : (التصوف مبني على ثلاثة خصال : المسلك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار ، وترك التعرض والاختيار) (١٤) .

٥. تعريف الشيخ زكريا الانصاري (١٥) رحمه الله تعالى بقوله : (علم تعرف به أحوال النفوس وتصفية الاخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية) (١٦) .

(٧) القصاب : هو محمد بن علي أبو جعفر الصوفي البغدادي ، الأصل كان أستاذ الجنيد توفي سنة ٢٧٥ هـ ، ينظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣ / ٦٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، مطبعة السعادة بمصر .

(٨) ينظر : ينظر شفاء السائل ٩٣ - ٩٤ .

(٩) الجنيد البغدادي : هو الجنيد بن محمد بن الخزاز أبو القاسم يقال له القواريري اصله من نهاوند ، مولده ومنشأه ووفاته في بغداد ، كان فقيها على مذهب ابي ثور الكلابي قال احد معاصريه : ما رأيت عيناى مثله ، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه وتوفي سنة ٢٩٧ هـ ينظر : حلية الاولياء : ١٠ / ٢٥٥ ، أبو نعيم الاصفهاني ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية ، وتاريخ بغداد : ٧ / ٢٤١ ، وفيات الاعيان لابن خلكان ابي العباس احمد بن محمد المتوفي سنة ٦٨١ هـ : ١ / ١١٧ ، بيروت ، ١٩٦٨ - ١٩٧٢ .

(١٠) ينظر : شفاء السائل : ٩٣ - ٩٤ .

(١١) سمنون : بضم السين أبو الحسن بن حمزة الخواص من كبار المشايخ في العراق توفي ٢٩٨ هـ : ينظر : حلية الاولياء : ١٠ / ٣٠٩ .

(١٢) ينظر : عوارف المعارف للسهروردي ص ٥٧ ، الطبعة الأولى دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٦ م .

(١٣) الشيخ رويم : هو بن احمد بن يزيد بن رويم الصوفي الكبير عاش في بغداد توفي سنة (٣٣٠ هـ) ينظر الرسالة القشيرية : ص ٢١ ، عبد الكريم بن هوازن القشيري ، مصر ١٢٨٤ هـ .

(١٤) ينظر : شفاء السائل : ص ٩٣ - ٩٤ .

٦. تعريف الشيخ احمد رزوق^(١٧) رحمه الله تعالى بقوله : (علم قصده لإصلاح القلوب وافراجها لله عما سواه)^(١٨) .

٧. تعريف الشيخ التهانوي^(١٩) رحمه الله تعالى بقوله : (معرفة النفس ما لها وما عليها من الوجدانيات)^(٢٠) .

وللتصوف عدة اصطلاحات أخرى اشتهر بها ولكن اشتهر هذه المصطلحات (التصرف) ومنها : علم الباطن ، وفقه الورع ، وفقه القلوب ، وعلم الآخرة^(٢١) ، كما اطلق عليه علم السلوك وعلم الاسرار وعلم الحقائق وعلم الإخلاص وعلم الأحوال^(٢٢) ، واطلقوا عليه بعضهم علم الاحسان ، وعلم القرب^(٢٣) .

وهكذا نرى تنوع وتعدد الاصطلاحات بحسب مواضعها المتنوعة ومعالجاتها والحقيقة واحدة ، ولا حرج في كثرة هذه المصطلحات ما دامت تعني مغزى واحدا مشتركا عند الجميع .

نرى السهروردي يقول : (واقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على الف قول)^(٢٤) .

^(١٥) هو زكريا بن محمد بن احمد الشافعي شيخ الإسلام قاضي ومفسر ومن حفاظ الحديث توفي سنة ٩٢٦ هـ ينظر : الاعلام ٣ / ٨٠ ، الزركلي خير الدين ، القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٥٩ .

^(١٦) ينظر : شفاء السائل : ص ٩٤ ، والرسالة القشيرية : ص ١٢١ ، عليها هوامش من شرح زكريا الانصاري .

^(١٧) هو احمد بن زرق احمد بن محمد ، من مدينة فاس المغربية ويلقب (بالفاسي) وقيل إسماعيل بن محمد الفاسي ، وهو فقيه عابد محدث صوفي له تصانيف كثيرة في التصوف توفي سنة ٨٩٩ هـ ينظر : شذرات الذهب : ٧ / ٣٦٣ بن العماد

الحنبلي عبد الحي ١٠٨٩ هـ المكتب التجاري بيروت .

^(١٨) ينظر : قواعد التصوف لاحمد رزوق الفاسي : ص ٩ .

^(١٩) التهانوي : هو محمد بن علي القاضي التهانوي ، باحث هندي توفي ١١٥٨ هـ ينظر : الاعلام للزركلي ٧ / ١٨٨ .

^(٢٠) ينظر : كاشف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ١ / ٤٤ طبعة محققة ومزودة .

^(٢١) ينظر : شفاء السائل ابن خلدون : ٢٧ / ٤٤ .

^(٢٢) ينظر : اللمع لابي نصر السراج عبد الله بن علي الطوسي : ص ٤٢ ، تحقيق طه سرور عبد الحليم محمود . وابن تيمية مجموع الفتاوى الكبرى : ١١ / ٥ ، جمع وترتيب عبد الرحمن العاصمي الحنبلي ، طبع في المملكة العربية السعودية .

^(٢٣) ينظر : بين التصوف والحياة عبد الباري الندوي : ص ٢٥ .

^(٢٤) ينظر : عوارف المعارف عبد الله بن عبد الله السهروردي : ص ٥٧ ، الأولى بيروت لبنان دار الكتاب العربي / بيروت ١٩٦٦ م .